مجلة الاتحاد العربى للنشر العلمى
الإصدار السابع عشر
المجلد (٥) العدد (١٧)
(١-١١) ٢٠٢٤

United Arab Scientific Publishing Company

مجلة الاتحاد العربى
للنشـــر العلمـــى

الحرية ومبدأ التعايش في الإسلام

إجلال على الماخذى
(جامعة صنعاء، اليمن أمانة العاصمة)
نشر إلكترونياً بتاريخ: ١ يناير ٢٠٢٤ م

الملخص :

تعد المدينة المنورة هي أول نواة للدولة الإسلامية المدنية التي شكلها النبي بعد الهجرة من مكة إلى المدينة على أساس بيعتي العقبة ، بحيث أوجد تغييرًا سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا في المنطقة العربية ومحيطها، وقد اجتهد النبي في المسائل الدنيوية التي لا يوجد فيها نص ومنها سياسة إدارة الدولة مثل تشكيله دستور بين سكان يثرب (المدينة المنورة) على أساس مبدأ التعايش مع الآخر، وهي ما سميت بالوثيقة أو الصحيفة التي شملت الحقوق والواجبات لجميع مواطني الدولة الجديدة ،وشملت المسلمين ، ويهود المدينة، والمشركين من سكان المدينة، وبهذه الوثيقة اكتملت شروط قيام الدولة وهي : القيادة، والشعب، والأرض وفي تصوري تعد أول دولة مدنية في التاريخ الإنساني كون حرية الاعتقاد كانت مكفولة للجميع.

كما شكل عهد أمير المؤمنين علي في رسالته لمالك الأشتر واليه على مصر و تعبر عن مدى تطور الفكر السياسي الإسلامي بمنظور عقلي فلسفي لإدارة الدولة ، وكذا الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم وأمور إدارة المؤسسات مثل: القضاء والاقتصاد والجيش ،وكذلك بين أفراد المجتمع بمقولته الشهيرة:((الناس صنفان: أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.((

تبني منظمة الأمم المتحدة لهذه الوثيقة في عام ٢٠٠٢م ، كأفضل وثيقة حقوقية تحدد الحقوق والواجبات بين الدولة والشعب ، وقد اعتمدته المنظمة الدولية ليكون أحد مصادر التشريع للقانون.

الكلمات المفتاحية :

(مبدأ التعايش- الإسلام- وثيقة المدينة – الشورى – الحرية)

المقدمة

إن العلاقات الدولية قائمة منذ زمن بعيد، منذ أن وجدت الجماعات البشرية و تنوعت و تعددت، منذ قيام المدينة الدولة مثل المدن الفينيقية و المصرية و اليونانية، و التي كانت في مجملها قائمة على القوة و الحروب، كوسيلة تتخذها الاقوام القديمة لفرض إرادتها على الاقوام الضعيفة، و لما كان الملك الحاكم في الماضي يجسد الدولة، و كانت المنازعات تحل بالحروب، فقد كان السائد أن تطغى الصراعات على القضية البشرية، مع الابقاء على بعض الاستثناءات التي تهدف الى تنظيم العلاقات نحو السلام، بسلك الطرق الدبلوماسية البدائية التي يعبر عنها بالمفاوضات، و ظلت تستعمل للتعبير عن التعامل السلمي بين الدول حتى منتصف القرن السابع عشر، حيث حلت محلها الدبلوماسية التي يعرفها البعض " بفن المفاوضات "، و المفاوضات لا تعني بالضرورة بديلا كاملا عن استخدام القوة، إنما جاءت كاستثناء للتخفيف من حدة الحروب التي كانت طاغية على العلاقات الدولية حتى معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨م.

أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد حث القرآن على إعمال العقل، في كل ما له علاقة بالإنسان، سواء تعلق الأمر بإعمال العقل في الواقع العيني، أو في الغيب، اللامدرك بواسطة الحواس، إلى درجة اعتبار أن كل ما خالف العقل، لا علاقة له بالدين الإسلامي، حتى وإن كان ينسب إلى الدين الإسلامي.

وبما أن الله خلق الإنسان، لا ليستعبده، ويعذبه، ويهينه، بل ليصير متمتعا بكامل حريته، التي هي مصدر وجوده. وهذا الفهم هو الذي كان يحكم المسلمين الأوائل: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، كما كان يقول عمر بن الخطاب.

كما أن الله اعتبر أن ما هو مشترك بين الناس، في مجتمع معين، يجب أن يخضع للممارسة الديمقراطية، التي يجب أن تحكم العلاقات فيما بينهم، كما يمكن أن نفهم مما جاء في القرءان: (وأمرهم شورى بينهم)؛ لأن الشورى في سياق ورودها هنا، لا يمكن أن يفهم منها إلا الحق في الممارسة الديمقراطية، التي يعاديها مؤدلجوا الدين الإسلامي ،أن تكريم الإنسان هو الأصل في الدين الإسلامي، كما ورد في سورة الإسراء: (ولقد كرمنا بني آدم). والتكريم، لا يمكن أن يتم في ظل الحرمان من الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، والسياسية، بدلا من تحقيقها قانونيا، وميدانيا، وانطلاقا من مرجعيتها الدولية، والإنسانية، ومن كونيتها، وشموليتها.

الصحيفة (وثيقة المدينة) وإبعادها السياسية

تسعى الشعوب إلى تأكيد هويتها الحضارية والثقافية الذاتية من خلال إظهار توحيد العقل الجمعي على أساس الهوية الوطنية والإيمانية والتاريخية لدى الشعوب ،ونحن المسلمون لدينا ثقافتنا الدينية والسياسية التاريخية الفريدة، ممثلة بصحيفة المدينة وتعد صحيفة المدينة أول نص مكتوب بعد القرآن الكريم في تاريخ الإسلام ، وهي تنظيم للكيان السياسي الإسلامي الناشئ ,(Khaled Aliwi Jiyad,2012) وتشكل

هذه الصحيفة وثيقة تاريخية سياسية قانونية قيمة، أطرافها المسلمون ويهود المدينة ومشركي المدينة الأعراب.

ويشير العلامة الدكتور المحطوري إلى أن الرسول عقد وثيقة كشفت عن طبيعة الإسلام السمحة ، واستعداد المسلمين للقبول بالآخر، فالأرض واسعة والدين لله ، ولا إكراه في الدين وهذا ما حسمه النبي ص في هذه الوثيقة الرائعة التي تسد فم من يدعي أن الإسلام لا يقبل بجواره دين آخر، وأن المسلمين يحبون التفرد والتسلط (Almurtadha bin zaid al-mahtori,2011)فكانت الوثيقة من الخطوات المهمة التي اتخذها الرسول في تأسيس الدولة الإسلامية عند وصوله المدينة ، وتشير البحوث والدراسات التاريخية إلى وجود ثلاثة كيانات في المدينة (يثرب) في وقت توقيع الوثيقة هي:

أ- الجماعة المؤمنة :ويمثلها المهاجرون والأنصار، وقد كان عددهم وقت توقيع الوثيقة"١٥٠٠" نسمة (Khaled Aliwi Jiyad,2012)ب - اليهود : كان اليهود في حينها عند توقيع الوثيقة في المدينة " ٤٠٠٠" نسمة ,(Khaled Aliwi Jiyad 2012)واليهود مختلفون عن المسلمين دينيًا ، لكنهم شاركوا في هذه الوثيقة السياسية في إطار الكيان السياسي للدولة الإسلامية، وطبقاً للوثيقة فقد أعلنوا قبولهم للمشروع السياسي للدولة في إطار العيش المشترك والمصالح المتبادلة .. وقد ذكرت الوثيقة اليهود - " ٢١" مرة ج - العرب المشركون في المدينة : كان عدد العرب المشركين في المدينة "يثرب" حين توقيع الوثيقة " ٤٥٠٠" نسمة.(Khaled Aliwi Jiyad,2012)

نصت هذه الصحيفة في أحد بنودها على الكيانات الموقعة على هذه المعاهدة :الدفاع عن المدينة المنورة من أي غزو خارجي " وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ,(Abdelilah Belkeziz,2005) " ويثرب تمثل الكيان السياسي للدولة في حينه ؛ لذلك فحماية هذا الكيان لا تقتصر على الجماعة المسلمة فقط ، بل تقتضي مشاركة جميع أفراد الاجتماع السياسي بصرف النظر عن عقائدهم وأفكارهم السياسية (Khaled Aliwi Jiyad,2012)وبهذا فالصحيفة أذنت لبناء اجتماع سياسي في يثرب ، بل وفي تاريخ العرب والمسلمين عموماً.

-وهذه الوثيقة أو الصحيفة أصبحت دستورًا ومرتكزًا جديدًا ارتكزت عليه الدولة الإسلامية في بداية تأسيسها، وخلقت نسيجًا اجتماعيًا متجانسًا، احتوى التنوع الثقافي والفكري والعقائدي لحساب المصلحة العليا للدولة " ما نسميه اليوم الأمن القومي للبلاد " ، ومن جهة ثانية تنسجم مع النص القرآني على أسس واقعية وإنسانية غير متطرفة استطاعت بناء سلم داخلي ، ومجابهة العدوان الخارجي ، كما أظهرت هذه الصحيفة الإسلام بشكله الحقيقي الذي شكل الأساس الأيدلوجي لحرية الإنسان ،وحرم العبودية للبشر، فالعبودية لله وحده لذلك دخل الناس فيه أفواجًا محررًا لهم من العبودية ، لهذا نجد أن الفقراء والمستعبدين كانوا أول من انتمى للإسلام ، في حين رفضه الأغنياء وأصحاب النفوذ ، وتضمنت الوثيقة مبادئ الحرية وأهمها :التأكيد على مبدأ المواطنة، وهو ما تضمنته المادة الخامسة والعشرون" على أن يهود بني عوف

أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم " ، وهو ما بينه النبي ﷺ في أكثر من مرة ، فهو من عرف العالم بحقوق الإنسان قبل الجميع بقوله في حجة الوداع " أيه الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا (Khaled Aliwi Jiyad,2012) ".. ,وبما أن التوجيه للعالمين بقوله: يا أيها الناس ولم يقل يا أيها المسلمون ، فإنها تشكل الأساس الذي تقوم عليه حرية الإنسان ، لقوله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير.(Al-Quran 49:13)"

تعد وثيقة المدينة عقدًا اجتماعيًا سياسيًا، ودستورًا لتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجميع على مختلف مشاربهم الدينية والفكرية ، وهو ما ذهب إلية مفتي الديار المصرية السابق (جمعه) بقوله: " في ذلك التنوع أراد النبي ﷺ أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعاون والمشاركة بين جميع أطيافها على مختلف مشاربهم ، ومن هنا جاءت وثيقة المدينة كأول دستور للدولة المدنية في العالم ، تحدد ملامح دولة الإسلام الجديدة ، ولا يفرق بين مواطنيها من حيث اللون أو العرق أو الجنس (Khaled Aliwi Jiyad,2012), وهذه الصحيفة شكلت أربع قواعد أساسية للدولة الناشئة في المدينة هي: الأمة، والقيادة، والنطاق الجغرافي للسيادة ، والحقوق العامة.

1- الأمة ، أو الشعب : يتبين من خلال الوثيقة أن مفهوم الأمة (الشعب) على أمرين هما : الانتماء الديني ، والانتماء السياسي، فالأول : تمثلها الجماعة المسلمة، والثاني: يشمل الجميع وذلك استنادًا للنص "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس، وبهذا شكلت هذه الصحيفة ركيزة أساسية من ركائز المجتمع السياسي الإسلامي جمعت جميع المواطنين على مختلف مشاربهم في دولة واحدة.

2 - القيادة العليا: حددت صحيفة المدينة القيادة العليا في الدولة الإسلامية باسم النبي محمد ﷺ مرجعية للجميع باتفاق أطراف هذه الوثيقة وهم المسلمين والمشركين واليهود بنص المادة الثانية والأربعين " وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله " (Khaled Aliwi Jiyad 2012), وكذا ما بينته المادة الثالثة والعشرون " وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد.

3- الأرض ونطاق السيادة : إن المدينة التي يقيم عليها جماعة العقد هي النطاق الجغرافي للدولة التي تسري عليها أحكام الوثيقة ولها حدود معلومة، ساري هذا الاتفاق السياسي علي أراضيها، وهو ما حدده النبي بالمعالم الأربع في النطاق الجغرافي ليثرب " المدينة (Khaled Aliwi Jiyad,2012,) "ومما يدل على تحديد البقعة الجغرافية التي يسري عليها دستور الصحيفة، ما جرى في غزوة بدر فقبل الحرب والمواجهة مع قريش استشار النبي ﷺ أصحابه، لأن بيعة العقبة كانت تنص على أن الأنصار يمنعون عن النبي عدوه إذا غزوه، كما أن وثيقة الصحيفة تشمل حدود المدينة فقط وبدر خارج المدينة ، " قال النبي

أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار ..قال سعد بن معاذ :والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال أجل. قال: قد آمنا بك وصدقناك .. وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا .. فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك."

4ـ تنظيم الحقوق العامة " الدستور: "

فمن المادة الثالثة إلى الثانية والعشرون من الصحيفة، والتي تبدأ من فقرة " المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعا قلون بينهم ...وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا (أي مجرمًا)ولا يؤويه ،و تهتم بتنظيم الحقوق والواجبات بين المسلمين ، كما أن الفقرات من المادة الخامسة والعشرين إلى السادسة والثلاثين ، والتي بدأت بعبارة " وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ..." وانتهت بعبارة " وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم،وأن الله على أبر هذا ، نظمت الحقوق والواجبات لليهود ، في حين نظمت الفقرات من السابعة والثلاثين إلى الخامسة والأربعين والتي تبدأ " وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم " وانتهت بعبارة " وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين " وهذه الفقرات من الصحيفة تعالج متطلبات العيش المشترك بين أفراد المجتمع السياسي للدولة والحفاظ على مكونات المجتمع ، ومواجهة التحديات الخارجية (Khaled Aliwi Jiyad,2012).و يؤكد على ذلك العلامة المحطوري بقوله:" إن هذه وثيقة سياسية وضعها النبي ﷺ معبراً عن صدق رغبته في التسامح والتعايش بسلام في مجتمع يسوده النظام والعدل والحرية (Almurtadha bin zaid al-mahtori,2011)"

وتنقسم تصرفات النبي إلى قسمين، تصرفات تشريعية: وهي التي يطلق عليها لفظ السنة ، وتصرفات غير تشريعية لا تدخل في مسمى السنة ، والدليل على ذلك ما روته أم سلمه أن النبي قال:" إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار" يدل هذا أن تصرفات النبي ليست كلها وحيًا ، وإنما اجتهاد في بعض الأمور .و من المتفق عليه أن الرسول عند تبليغه عن الله يتصرف وفق ما أوحي إليه ، وعندما يتصرف بوصفه إماماً أو قائداً سياسيًا إنما يتصرف باجتهاده ورأيه الذي يمكن أن يصيب فيه ويخطئ . وهذا ما أجمع عليه الأصوليون والفقهاء ومنهم محمد بن علي الشوكاني فيقول" وأجمعوا أنه يجوز لهم (يعني الأنبياء) الاجتهاد فيما يتعلق بمصالح الدنيا وتدبير الحروب ونحوها ... ومن ذلك ما وقع من اجتهاده محاولة مصالحة قبائل غطفان في حصار المدينة ، وكذلك رأيه في مسألة تلقيح التمر، كذلك في الأمور السياسية يؤكد سعد العثماني بقوله:" نجد بوضوح هذه الأمثلة من تصرفات النبي السياسية إلى أنها لم تكن وحياً أو تشريعاً عاماً، بل كانت اجتهاداً منه ورأي "

وبذلك يتبين أن العلاقة بين الدين والسياسة في الإسلام ليس الفصل كما يذهب إليه البعض، وليس التماهي كما يتصوره الآخرون، بل هو التمييز فالدين حاضر في السياسة بروح دفاقة دافعة وقوة للأمة جامعة في الممارسة السياسية.

الجذور الفلسفية والإنسانية في رسالة أمير المؤمنين علي إلى مالك الأشتر(المعروفة بالعهد) ظهر هذا العهد الإنساني في وقت مبكر من تاريخ الإسلام وهي رسالة وعهد الإمام علي كرم الله وجهه إلى مالك الأشتر والذي كتبها له عندما ولاه مصر، وتعد هذه الوثيقة من أهم الشواهد للدلالة على تطور الفكر الإنساني الإسلامي" وقد نال هذا العهد من الاهتمام والدراسة والشرح والبيان ما لم ينله نص آخر، وقد تم ترجمته إلى كثير من لغات العالم ، وهذا دليل على قيمته الإنسانية التي يحتويها هذا العهد لأنه يتناول مختلف شؤون الحياة، وفي مختلف المجالات. (Saadi Al-Shirazi,2014) "

وهذه الوثيقة تعد أول وثيقة قانونية مفصلة في الإسلام تعالج واجبات الحاكم ووظائفه وتنظيم العلاقات بين الشعب والحاكم ، كما بينت الفصل بين السلطات الثلاث (ـ التشريعية ، والقضائية، والتنفيذية) ووضعت ضوابط ومعايير لأشخاصها، وهذه الوثيقة أثارت جمعيات حقوق الإنسان ، فقد اعتمدت رسالة الإمام علي إلى واليه في مصر مالك الأشتر من الرسائل الحقوقية والتي تحدد الحقوق والواجبات بين الدولة والشعب ، وهذا ما فهمه الأمين العام للأمم المتحدة السابق كوفي عنان بقوله : إن هذه العبارة من العهد يجب أن تعلق على كل المؤسسات الحقوقية في العالم، وهذه هي عبارة " وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق " فهذه العبارة جعلت كوفي عنان ينادي بأن تدرس الأجهزة الحقوقية والقانونية عهد الإمام علي لمالك الأشتر ، وترشيح هذا العهد ليكون أحد مصادر التشريع للقانون الدولي (Wikipedia, 2016).

ونظراً لأهمية هذا العهد أصدرت الأمم المتحدة ، في عام ٢٠٠٢م تقريراً باللغة الإنجليزية (١٦٠،صفحة) ، أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص بحقوق الإنسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم ، حيث تم الإقرار للإمام علي من قبل المجتمع الدولي بأنه شخصية مميزة ، ومثالاً أعلى في : إشاعة العدالة ، وتقبل الرأي الآخر، واحترام حقوق الإنسان جميعًا (مسلمين وغير مسلمين)، وتطوير المعرفة والعلوم ، وتأسيس الدولة على أساس التسامح والخير والتعددية، وعدم خنق الحريات العامة ، وقد تضمن التقرير مقتطفات من وصايا أمير المؤمنين الموجودة في كتاب نهج البلاغة ثم ذكر أن هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة واحترام حقوق الإنسان ، لكن العجيب أن التقرير ألأممي لحقوق الإنسان لعام ٢٠٠٢م، شدد على أن تأخذ الدول العربية بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية لأنها وفق التقرير (لا تزال بعيدة عن الديمقراطية)، وقد وزع التقرير المذكور على جميع دول الأمم المتحدة ، وقد اشتمل على منهجية علي كرم الله وجهه في : السياسة والحكم ، وإدارة البلاد ،

والمشورة بين الحاكم والمحكوم ، ومحاربة الفساد المالي والإداري ، وتحقيق مصالح الناس وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة ,(Abbas, Qassem Khudair,2009) ثم تضمن التقرير أيضًا : شروط الحاكم التي وردة في كتاب نهج البلاغة ، كما اقتبس التقرير الأممي فقرات من وصايا أمير المؤمنين لعامله في مصر مالك الأشتر في عملية التنمية واستصلاح البلاد ، كما تطرق التقرير الدولي إلى أساليب الإمام علي في عهده للأشتر في محاربة الجهل والأمية ، وكذا كيفية اختيار الوزراء وإرشاد القضاة ثم انتهى التقرير ألأممي بأن علياً يعد مفخرة للحاكم العادل.(Abbas, Qassem Khudair,2009)

ومن أهم ما تضمنته هذه الوثيقة:

أولاً: الجانب الإداري أو السياسي :تضمنت هذه الوثيقة إدارة الحقوق والواجبات بين الراعي والرعية، في أربعة محاور: بقوله كرم الله وجهه" هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر ، في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها"، جباية خراجها : وهي ميزانية الدولة وموارد التحصيل للخزينة العامة ،و جهاد العدو : وهي تمثل السياسة الخارجية للدولة في السلم والحرب . واستصلاح أهلها :وهي تمثل السياسة الداخلية للدولة ،وعمارة البلاد : وهي السياسة الاقتصادية والتنمية للبلاد.

ولقاءات الحاكم بالرعية : ثم أرشد الإمام علي واليه مالك على مقابلة الرعية وعدم الاحتجاب عنهم بقوله :" فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم الأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه (تكون النتيجة) فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ,"((Haider Hussein Hamza,2017 ثم يأمره بالعفو عن الرعية، وهي سمة الود بين الراعي الرعية ودوام حب الناس له فيقول " ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة " ..,(Muhammad Baqir Al-Nasiri, 1980)" وإياك ومساومة الله في عظمته ، أو التشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال ,(Muhammad Baqir Al-Nasiri) " ,(1980وفي سبيل ربط المحبة بين الحاكم وجميع أفراد الشعب أمر الإمام علي كرم الله وجهه مالك الأشتر في عهده بقضاء حاجات الرعية وعدم خلف المواعيد أو المن عليهم بقوله: " وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان."((Haider Hussein Hamza,2017

ثانياً الجانب الأخلاقي:١ـ رأفة الحاكم بالشعب: حث الإمام علي كرم الله وجهه واليه في مصر علي الرحمة بالرعية واللطف بهم وحذره من أخذ أموالهم بقوله : " وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا ، تغتنم أكلهم. "

2ـ سياسة التعايش والتسامح: ثم أكد في رسالته على مبدأ التعايش والتسامح وتوفير البيئة الصالحة للمواطنة واحترام حقوق الإنسان بقوله :" فأنهم صنفان: إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق "،

وهذه العبارة لفتت انتباه الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان وهو ما أوصى به أن تعلق على جميع المؤسسات الحقوقية في أنحاء العالم كما بينا سابقًا.

وبما أن المجتمعات لا يمكنها التعايش السلمي إلا بالتسامح ، فإن الإمام علي قد حث واليه في مصر على التسامح والصفح بقوله " فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك " ، ولتمييز هذه العلاقة بين الحاكم والشعب وترابطها حدد الإمام علي أن الناس هم من يزكون الوالي الصالح عن طريق ما يقولونه في الحاكم من خير أو شر بقوله :" وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده " ، ثم يوصي الإمام علي واليه الأشتر بقوله "وأعلم أنه ليس شيء بآدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه إياهم. "

3- الوسطية والاعتدال: ومن الأمور المهمة في هذه الرسالة حث أمير المؤمنين علي عليه السلام على الوسطية والاعتدال وخير الأمور أوسطها بقوله: " وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ،وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة "، وقد حذر الإمام علي أيما تحذير تكبر الحاكم على الناس والإعجاب بالنفس بقوله:" وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.(Haider Hussein Hamza,2017)

4- ستر عيوب الناس وعدم التشهير بهم : ثم بين أميرا لمؤمنين في عهده الوالي الحرص على الشعب في ستر العيوب بقوله " فإن للناس عيوبًا الوالي أحق من يسترها ، فلا تكشف عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر منها لك، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر منك ما تحب ستره من رعيتك."

حسن اختيار المستشارين والوزراء: يؤكد الإمام علي في رسالته لمالك الأشتر علي حسن اختيار المستشارين والوزراء وذلك باختيار الصلحاء منهم بقوله: " ولا تد خلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ". وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإمام علي قد أكد على مبدأ الشورى والأخذ بها عند اتخاذ القرار و في إصلاح شأن المجتمع مستنداً لقوله تعالى) :فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(Al-Quran 3:159) وقوله تعالى:(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (Al-Quran 42:38) فهذه هي الديمقراطية الحقيقية.

ويحذر عليه السلام من تجريب المجرب بقوله: " إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شاركهم في الآثام ، فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان للأثمة وإخوان الظلمة Haider Hussein ,((Hamza,2017و اختيار الأفضل منهم بقوله: " ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على أثمه ، أولئك أخف عليك مؤنة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفًا ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك "، ثم بين في ألاَّ يكون الوزراء من أهل النفاق والتملق :وقد بين عليه السلام بعدم قبول وزراء وبطانة من أهل النفاق والتملق والتقديس للوالي ؛لأنه يجعله يتجه للظلم والفساد بقوله : " ثم رضهم على ألَّا يطروك ولا يبجحوك بباطل تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة Haider Hussein) ,"(Hamza,2017وكما يحث واليه على مصر بالأخذ بالخبرات السابقة المتراكمة بقوله: " ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت عليها الألفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والعذر عليك بما نقضت منها " ، والمتأمل لهذه الفقرة يجدها في غاية الأهمية لأن كل دولة جديدة تحاول طمس تاريخ وتراث من سبقها ولا تستفيد من أي تطور ثم تبدأ من جديد في تجريب المجرب ، وهذه مشكلة عالمنا العربي، حتى داخل النظام الواحد يسعى الوالي أو الرئيس في طمس تاريخ وتراث من سبقه بغض النظر عن صلاحه أو فساده.

ثالثاً: القضاء: حرص الإمام علي في اختيار القضاة على أن تتوفر فيهم الشروط التالية:١ـ كريم الخلق واسع الصدر: بقوله " ممن لا يضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة "، ٢ـ أكفأ القوم وأفضلهم : " ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك " ،٣ـ عدم الإصرار على الخطأ : " ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه" ،٤ـ عدم التسرع في اتخاذ القرار" ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور " 5ـ القناعة و غنى النفس : " لا تشرف نفسه على طمع" ، ٦ـ زاهد في متاع الدنيا: " ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء"،٧ـ قاطعاً في أحكامه صارماً بالحق " وأصرمهم عند اتضاح الحكم) Muhammad Baqir Al-Nasiri,1980).

رابعاً: مبادئ السلام: لم يغفل الإمام علي فكرة السلام في سياسة الدولة الخارجية فقد أكد على الصلح والسعي للسلام الدائم بقوله " ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى ، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأماناً لبلادك ,(Muhammad Baqir Al-Nasiri,1980) وتوخي الحذر على الصلح غير المدروس محذرًا بقوله:" لكن الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. "

شروط الصلح : أـ الوفاء بالعهد وعدم الغدر " وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء" ،ومن الشروط المهمة الأمانة " وارع أمتك بالأمانة ، فإنه ليس من فرائض الله ... أشد .. من تعظيم الوفاء بالعهود "، مبيناً عدم الغدر سواء مع مسلم أم كافر بقوله: " فلا تغدر بذمتك ولا تخيسن

بعهدك ، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ... فلا أدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه "، ب ـ المصداقية عند المفاوضات وعقد الصلح : بقوله : ولا تعقد عقداً تجور فيه العلل...فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفصل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته."

) المراجعReference (

The Holy Quran.

The Sunnah of the Prophet.

Almurtadha bin zaid al-mahtori,The Bigoraphy Of The Prophet,2011

Abdelilah Belkeziz, Formation of the Islamic Political Sphere.. Prophecy and Politics, Center for Arab Studies, i 1, Beirut, 2005 AD.

Abbas, Qassem Khudair, Imam Ali and honored by the United Nations, legal researcher and
Islamic thinker, Araa al-Kitab website, |7|2009

Haider Hussein Hamza, The Covenant of Imam Ali to Malik Al-Ashtar, a historical study, Nahj Al-Balagha Foundation, I 1, Karbala, Iraq, 1438 AH, 2017.

Hadi Al-Alawi, Chapters from the History of Political Islam, Center for Socialist Research and Studies in the Arab World, 2nd Edition, Nicosia, Cyprus, 1999

Khaled Aliwi Jiyad, The Document of the City and the Rights of the Other, Rooting Coexistence, Al-Resala Magazine, Fourth Year, Second Issue, University of Karbala, College of Law, Karbala, Iraq 2012

Muhammad Baqir Al-Nasiri, with Imam Ali bin Abi Talib by Malik Al-Ashtar, Dar Al-Maaref for Publications, 2nd Edition, Beirut, 1400 AH, 1980 AD

Saadi Al-Shirazi, intertextuality between the era of Imam Ali (peace be upon him) to Malik Al-Ashtar and the Fifth Epistle on Advice to Kings.

Wikipedia, Imam Ali's covenant with Al-Ashtar, one of the sources of legislation for the United Nations, as well as Imam Al-Hussein Encyclopedia, United Nations: Imam Ali's covenant with Malik Al-Ashtar, a source of legislation for international law, Karbala, 12|2| 2016 AD, the official website of the Hussainiya Holy Shrine